

الزواج عقد شراكة أم تملك الرجل للمرأة

المعتقدات الاجتماعية مسؤولة عن تشكيل رؤية الجنسين للعلاقة الزوجية منذ الصغر



شبّهت الكاتبة الفرنسية بيغي ساستر، في كتابها الذي يحمل عنوان "كيف يسمى الحب النساء؟"، الزواج "بالنعش بالنسبة إلى المرأة والأطفال بالماسمير"، ويجعل هذا التشبيه البلاغي الزواج وكأنه فقدان للذات بالنسبة إلى المرأة، لكن في عدة مجتمعات عربية تؤمن الكثير من النساء بأسطورة "الطاعة العمياء" لشريك الحياة والتي قوامها أن تكون شخصية تابعة وخاضعة لزوجها.

بمينة حمدي
صحافية تونسية
مقيمة في لندن



ويدخل العديد من الرجال المتزوجين في حالة من الاحتجاج والغضب وحتى العدوانية، عندما ترفض زوجاتهم الانصياع لأوامرهم، ويحاولون فرضها بالقوة، حتى لو كانت لا تصب في مصلحتهم، وتنتهك حقوقهن وكرامتهن، إذ تعتبر نسبة كبيرة من الرجال أن الزوج لديه الحق في التحكم في جميع تصرفات زوجته وملبسها، واتخاذ القرارات نيابة عنها، وضربها وإهانتها، ما يجعل الزواج في بعض الأحيان إلى مجال لإضطهاد المرأة وطريقاً نحو إخضاعها وحرمانها من حقوقها الشخصية وحريتها. وتكمن المشكلة بالنسبة إلى بعض المجتمعات العربية، في الاعتقاد السائد، بأن على المرأة السواء لزوجها والامتثال لأوامره، بغض النظر عما إذا كان محقاً أو مخطئاً.

والامر الذي يثير القلق على نحو خاص بالنسبة إلى الخبراء، هو طبيعة ردود فعل البعض من النساء على إهانات وتعنيف أزواجهن، والتي غالباً ما تكون ردوداً هزلية أو يتقبلن الاعتداء بدون وبعين، وهو ما يعطي انطباعاً بأن بعض الزوجات أن يكن خاضعات ومنتسجمات اتجاه سوء معاملة الأزواج.

قوامة الرجل

وتعاني النساء في عدة مجتمعات عربية بالأساس من مشكلات اجتماعية كبيرة، بسبب الكثير من المفاهيم الذكورية المتوارثة منذ قرون، وتجعلهن عرضة للعنف والإقصاء والتهميش والتمييز والقهقير والقمع الفكري والثقافي، وتنتهك جميع حقوقهن باسم قوامة الرجل على المرأة.

وتجد نسبة كبيرة من الرجال مبرراً دينياً للضرب حسب الآلية الرباعية والثلاثين من سورة النساء "وَالَّذِينَ تَخَافُونَ نشوزَهُنَّ فَعْظُمُهُنَّ وَهَجرُهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرَبُوهُنَّ فَإِنَ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيْرًا". وهذا الضرب يحاول بعض الفقهاء التخفيف منه بوصفه بالضرب "غير المبرح" أي غير الشديد الذي لا يترك أثراً، واختلف الفقهاء في تفسير "الهرج" فما قاله المفسر والمؤرخ محمد بن جرير الطبري في تفسيره أن الهجر يعني الربط بالحبل، فقال هجر النعير أي ربطه أو قيده، وكذلك الهجر يعطي معنى الترك، لكن إذا كانت النية الترك فلماذا الضرب، وعلوم أن إجازة الرجل في ضرب المرأة لأجل طاعتها له، أي عدم منعه منها في الفراش.

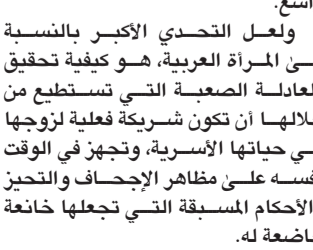
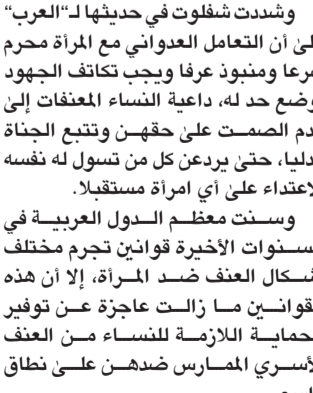
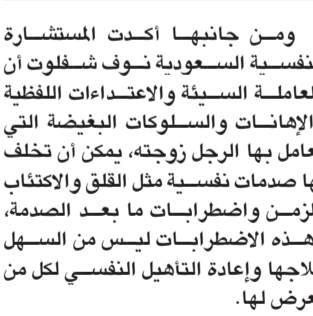
ويجمع الفقهاء، ومن المذاهب كافة، المتشددون منهم والمتنورون أن "الضرب رخصة رخص فيها الله للتأديب إذا دعت الحاجة إليه مع ما تقدم من الوعظ والهجر بشأنه، وليس من الأفضل أن يسارع إليه أو يفرح به، بل الأفضل أن يؤخر وأن لا يعجل جمعاً بين النصوص". ويرى خبراء أن النصوص

الدينية والممارسات لها زمن خاص بها ويصعب صلاحها للزمن الحالي، والقدماء قالوا "الأحكام تتبدل بتبدل الأزمان"، لكن تاديب المرأة بالضرب والإقصاء الاجتماعية المبنية على ثقافة الإخضاع والسيطرة على المرأة، ما زالت سارية المفعول رغم أن المرأة اليوم أصبحت تضاهي الرجل، في المستوى الفكري والعلمي والموقع الوظيفي والمكانة الاجتماعية.

وإكد الباحث الشرعي السعودي عبدالله العلويت أن مفهوم القوامة السائد في القرآن في قوله تعالى "الرجال قوامون على النساء" يرد به قيام الرجال بضبط سلوك النساء في المجتمعات الذكورية، فهذه الآية نزلت في فترة كانت فيها المجتمعات ذكورية، وكانت المرأة تتبع الرجل لعدة أسباب من ضمنها إنفاقه للمال عليها. وقال العلويت لـ"العرب"، "أبرز سمة للمجتمعات الذكورية هي

الزواج ما يتبقى من الحبيب بعد استئصال حساسته

علاقة الزوج بالعلقة المقدسة التي يجب أن تكون مبنية على الرحمة والحب والتكامل والتفاهم والتعايش. وقالت القروي لـ"العرب"، "أرفض عبارة تملك الرجل للمرأة بعد الزواج جملة وتفصيلاً، والأصح أن تكون علاقة تكامل في اتخاذ القرارات السليمة داخل الأسرة".



على العنف ضدّ النساء في وسائل التواصل الاجتماعي قد تكون سبباً في تنامي الظاهرة. وكانت رئيسة منظمة النساء الديمقراطيات، يسرى فراوس، قد أكدت منذ الأيام الأولى للحجر الصحي الشامل ارتفاع حالات العنف ضدّ النساء التونسيات.

وكشفت فراوس في تصريح لوكالة الأنباء التونسية أن المنظمة تلقت شكواً من نساء ضحايا العنف الزوجي بفترة الحجر الصحي، وعدم تمتعهن بمساعدة الأمن الذي تعامل مع اتصالات النجدة بلا مبالاة "بتعلقة عدم اهتمامه بهذه القضايا حالياً" على حد قولها.

ومن جانبها أكدت جمعية "أصوات نساء" أن 40 ألف قضية عنف ضدّ النساء تم النظر فيها في وزارة العدل خلال العام 2019 وذلك بموجب قانون مناهضة العنف ضدّ المرأة، ولكن لم يعرف مآلها إلى حد الآن.

ورغم الجوانب السلبية الناجمة عما تتعرض له المرأة من عنف زوجي، فإن البعض من الرجال ممن تحدثت إليهم "العرب" يرى أن الشتائم أو الإهانات التي يطلقها الزوج ضد زوجته أمر طبيعي، ولا تستحق رفع دعاوى قضائية بشأنها، وأنها مجرد أحد تجليات لغة التحاور والمشاكل التي تحدث في حياتهم الخاصة.

فيما شددت بعض النساء على ضرورة أن يتقنى الرجل الفاظه في التعامل مع زوجته ولا يعتبر ملك له بل مكملة له ولذالك تجب مراعاة مكانة ودور كل طرف منهما داخل الأسرة، معتبرين المرأة التي تتلقى الإساءة اللغوية مراراً وتكراراً في حياتها، ليس كالرجل الذي يطلقها ضدها آلاف المرات. وقالت التونسية إيمان الركاح التي تعمل في شركة نقل سياحي "لا يمكن أن نتذكر أن المرأة التونسية تتمتع بعدة حقوق ومتألفة في العديد من المجالات، ولكن هذه الصورة البراقة لا تعني أن جميع النساء العربيات بعشّن في أفضل حال، إذ تتعرض للكثيرات يوماً لحوادث عنف زوجي ومجمعي وغالباً ما لا تجد الإنصاف إلا من أقرب الناس إليها ولا من المجتمع المتحيز ضد جنسها الذي يبغضها حقوقها ويلقي باللوم عليها ويعد عليها تحركاتها وخطواتها، بل يصبح كل فعل يرتكبه الرجل له ما يبرره، فيما توجه أصابع الاتهام إلى المرأة بشكل دائم، إما بسبب ملبسها، أو لأنها رفضت الانصياع لأوامر سي السيد".

وأضافت لـ"العرب"، "انتساءل عن أسباب المواقف الذكورية الجاحدة في التعاطي مع المرأة، رغم أنها هي التي تنجب الرجل وتربيه وتدعمه وتبذل كل ما في وسعها من أجل راحته وسعادته، لكنه للأسف يقابل كل تضحياتها بإدارة ظهره لها أو التكتيل بها بشتى أنواع العنف".

فحينما يقابلها المولى عز وجل بالصالحه فإنه يراد به المنحرفة وليست من لديها خلاف أسري فهذه لا تسمى غير صالحة في القرآن، بل دليل أنه قد يكون الحق معها فكيف يمارس عليها قوامة؟". واستدرك مضميفاً "لكن المنحرفة أخلاقياً لا يمكن أن يكون الحق معها وهذا الضرب أيضاً لا يوجد به دليل على أن الضارب هو الزوج أو قريبه، بل ربما يكون الضرب القانوني أو القضائي كما يحدث مع جلد الزاني، فهو كالعوظ في نفس الآية فهو لكل من في استطاعته وليس للزوج، والزوج يهجر في المجتمعات التي فيها الامتلاك كبح جماع المنحرفات أخلاقياً وليس لها أي علاقة بالهالة الزوجية أو العشرة الزوجية، والتي بعدها هي التي لها علاقة بالعشرة الزوجية وأقصد قوله تعالى "وإن خفتك شقاق بينهما..."، واعتبر العلويت يرى الرجل العربي يمارس الامتلاك لأنه يرى أن المرأة تابعة له بفعل السلطة الذكورية وليست مستقلة عنه، ففهاهم الأسرة والزوج وغيرها من المواضيع الاجتماعية ليست حديثة أو نتيجة أبحاث أو نظير مفكرين معاصرين، وإنما هي موروث من أجيال سابقة كانت تعيش فيها المرأة مرتبة أقل من حيث استقلالها المالي إلى درجة أنها لا تستحق حتى إرثها... إضافة إلى مسؤولية الرجل الجنسية عنها (ثقافة العار) والتي تحتم عليه السيطرة عليها ليضمن سلامتها من هذه الناحية".

التعنيف الجسدي والنفسى

وتتعرض الملايين من النساء في مختلف المجتمعات العربية إلى عدة أشكال من العنف الزوجي والضرب أو الطرد من بيت الزوجية، علاوة على الإكراه الجنسي، والعنف الاقتصادي الذي يشمل الاستيلاء على ممتلكات الزوجة وعدم الإنفاق عليها.

ففي تونس على سبيل المثال كشفت آخر الإحصائيات عن تضاعف نسبة العنف ضدّ النساء بحوالي 5 مرات خلال الأسبوع الأول من الحجر الصحي المنزلي الذي فرضته الحكومة على المواطنين للحد من تفشي فيروس كورونا.

وأكدت وزارة المرأة والأسرة وكيان السن، أنها أوتت 77 في المئة من النساء ضحايا العنف الزوجي في مراكز خاصة، فيما يتم يومياً إحالة شكايات لنساء يتعرضن للإتهام الجسدي والمعنوي إلى مصالح الأمن المختصة للتعهد بهذه القضايا.

ووفق البيانات الرسمية التي نشرتها الوزارة على موقعها الرسمي، فإن 1364 امرأة معنفة طلق الإصغاء إليهن، فيما طالبت 455 امرأة بالإحاطة النفسية و448 بالحماية، وذلك في الفترة بين 23 مارس وأبريل الماضيين.

المرأة تتبع الرجل ماليا وغير مستقلة عنه، لذا بجز المولى عز وجل القوامة في الآية بما انفقوا من أموالهم، إذ إن هذا هو السائد في تلك المجتمعات وأراد القرآن استغلال هذه السلطة في منع النساء المنحرفات أخلاقياً بدلاً من النظام أو القضاء لأنه أكثر ستراً لهن، والذي يدل على أن المراد المنحرفات أخلاقياً هو أن الصالحات في الآية معفيات من هذه القوامة، فقال تعالى "فالصالحات حافظات أخلاقهن بما حفظ الله، فلم يرشد القرآن لوعظهن أو ضربهن أو هجرهن في المضاجع كما في اللاتي يخافن من نشوزهن ورجعتهن في الزنا، الزوجية".

علماء الاجتماع يؤكدون أن الأسرة تقوم بتشكيل رؤية الجنسين للعلاقات الزوجية، وهي بذلك المسؤولة على جعل المرأة رهينة للعنف الأسري الذي ينتهي في بعض الأحيان بمأساة. فعندما يؤمن بعض الآباء على سبيل المثال باختلاف أساليب التربية الموجهة للذكور، والموجهة للإناث، فإن عملية التنشئة الاجتماعية في هذه الحالة تتم وفق نمطين اجتماعيين مختلفين، إذ يربى الذكر على القوة، ويمتخ حق التسلسل في حين ينظر للإناث على أنها الإضعف والأقل شأنًا وعليها التحلي بالصمت والامتثال لكل ما يقوله الذكر، ومن ثم ينطبق سلوك كل منهما بطابع خاص يتسم بحالة من الخلل السلوكي في التعامل مع الطرف الآخر.

علماء الاجتماع يؤكدون أن الأسرة تقوم بتشكيل رؤية الجنسين للعلاقات الزوجية، وهي بذلك المسؤولة على جعل المرأة رهينة للعنف الأسري الذي ينتهي أحياناً بمأساة

العنف ضد المرأة جريمة أوقفوا الآن



ويجمع الفقهاء، ومن المذاهب كافة، المتشددون منهم والمتنورون أن "الضرب رخصة رخص فيها الله للتأديب إذا دعت الحاجة إليه مع ما تقدم من الوعظ والهجر بشأنه، وليس من الأفضل أن يسارع إليه أو يفرح به، بل الأفضل أن يؤخر وأن لا يعجل جمعاً بين النصوص". ويرى خبراء أن النصوص الدينية والممارسات لها زمن خاص بها ويصعب صلاحها للزمن الحالي، والقدماء قالوا "الأحكام تتبدل بتبدل الأزمان"، لكن تاديب المرأة بالضرب والإقصاء الاجتماعية المبنية على ثقافة الإخضاع والسيطرة على المرأة، ما زالت سارية المفعول رغم أن المرأة اليوم أصبحت تضاهي الرجل، في المستوى الفكري والعلمي والموقع الوظيفي والمكانة الاجتماعية. وأكد الباحث الشرعي السعودي عبدالله العلويت أن مفهوم القوامة السائد في القرآن في قوله تعالى "الرجال قوامون على النساء" يرد به قيام الرجال بضبط سلوك النساء في المجتمعات الذكورية، فهذه الآية نزلت في فترة كانت فيها المجتمعات ذكورية، وكانت المرأة تتبع الرجل لعدة أسباب من ضمنها إنفاقه للمال عليها. وقال العلويت لـ"العرب"، "أبرز سمة للمجتمعات الذكورية هي

والسنة معظم الدول العربية في السنوات الأخيرة قوانين تجرم مختلف أشكال العنف ضد المرأة، إلا أن هذه القوانين ما زالت عاجزة عن توفير الحماية اللازمة للنساء من العنف والأسري الممارس ضدهن على نطاق واسع. ولعل التحدي الأكبر بالنسبة إلى المرأة العربية، هو كيفية تحقيق المعادلة الصعبة التي تستطيع من خلالها أن تكون شريكة فعليه لزوجها في حياتها الأسرية، وتجهز في الوقت نفسه على مظاهر الإحباط والتحيز والشخصيات التي تغلب عليها النرجسية، وتستمد وجودها من تملك الآخرين

التحدي الأكبر بالنسبة إلى المرأة العربية هو كيفية تحقيق المعادلة الصعبة التي تجعلها شريكة فعليه لزوجها في القرارات

وفضلاً عن ذلك يتوقع المجتمع من المرأة أن تكون أكثر تفهماً مرونة واستيعاباً لزوجها، وتلبية لحاجياته ومتطلباته، وتضطلع بمختلف الأنشطة المنزلية، والتي قد تشمل تربية الأطفال وإعداد الطعام، وجلب المياه وتوفير الوقود في المناطق الريفية، وهذه الأدوار المتعددة والمرهقة تستنزف طاقة المرأة وتؤثر بصورة سلبية على نظرتها لنفسها، ما يجعلها تعيش في ضغط نفسي متزايد. وأرجع طارق بالحاء محمد، الباحث التونسي في علم الاجتماع، محاولة الرجل السيطرة على زوجته وإخضاعها إلى إصابته بحالة من "حب التملك"، وهو اضطراب نفسي وسلوكي يطفئ على الشخصيات التي تغلب عليها النرجسية، وتستمد وجودها من تملك الآخرين